



التعريف والتكثير (دراسة نظرية وتطبيقية في القرآن الكريم)

د. عبد الله علي عبد الرحمن أبو السعود

أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن الكريم، قسم القرآن الكريم وعلومه، الجامعة الإسلامية، منسوتا، الولايات المتحدة الأمريكية

E-MAIL: abd_sood@yahoo.com

المخلص

التعريف والتكثير في القرآن الكريم لون من أبرز ألوان الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ومن أدرك دواعيه ودلالاته أدرك سرّاً من أبرز أسرار الإعجاز القرآني، حيث ترى الكلمة في القرآن الكريم تعرف تارة وتنكر تارة أخرى؛ وما كان ذلك ليكون إلا لحكمة بالغة، وهذا ما سعى الباحث لإيصاله في بحثه هذا، وقد اعتمد الباحث المنهج الاستنباطي التحليلي؛ ليعبر الدواعي والدلالات للتعريف والتكثير، وكانت أبرز نتائج البحث أن التعريف والتكثير في القرآن الكريم لم يكن اعتباطاً وإنما لحكمة بالغة، وبمعرفة هذه الدواعي والدلالات يبرز لوناً من ألوان الإعجاز البياني، ومن أبرز التوصيات المنبثقة من هذا البحث إيجاد دراسات بيانية تفسيرية لكل سورة من سور القرآن الكريم تعنى بالكلمة والجملة القرآنية وتبرز أثر التعريف والتكثير على الكلمة والجملة والسورة القرآنية بدراسات مستفيضة لأهميتها البالغة.

Summar

The definition and denial of the Noble Qur'an is one of the most prominent colors of the graphic miracle in the Holy Qur'an, and whoever realizes its motives and connotations will realize one of the most prominent secrets of the Qur'an miracle, as you see the word in the Noble Qur'an known at times and denied at other times. This would not have been except for great wisdom, and this is what the researcher sought to convey in his research, and the researcher adopted the analytical deductive approach. To highlight the motives and connotations of the definition and denial, and the most prominent results of the research were that the definition and denial of the Noble Qur'an was not an arbitration but of great wisdom, and with knowledge of these motives and connotations a color emerges from the colors of the graphic miracles, and one of the most prominent recommendations emerging from this research is to find explanatory graphic studies for each surah of the Qur'an. Al-Karim deals with the word and the Qur'anic sentence and highlights the effect of definition and denial on the word, sentence and the Qur'anic surah with extensive studies of its great importance.



المقدمة

فإن القرآن الكريم كلام الله وحبله المتين، والذكر الحكيم والنور المبين، لا تزيع به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء ولا تنقضي عجائبه ولا يمل مع كثرة التكرار، وقد بذلت الجهود في خدمته، وسخرت الأوقات في تدبره، وهبّت له الهمم، وخير ما خدم به كتاب الله تعالى بيان علومه، وإثبات إعجازه، فقد أسهم العلماء في بيان إعجازه، وكتبت الكتب، وصنفت المصنّفات لإثبات مصدره، ففي القرآن الكريم الدليل الأكبر على إعجازه، قال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء: ٨٨)، ويقول تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: ١٣)، ويقول تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣)، فبدءاً من هذه الآيات انطلقت جهود العلماء في إبراز وجوه إعجاز القرآن وضوابطه، ومن أبرز وجوه الإعجاز القرآني ما يتعلق بالسياق ومدى أثر الكلمة في موقعها من حيث التركيب (تعريفاً وتنكيراً) فجاءت فكرة هذا البحث في تأصيل وإبراز الدواعي والدلالات لتعريف الكلمة القرآنية أو تنكيرها وفقاً للسياق وأثره في تحقيق المعنى المراد.

وقد احتوى البحث على ثلاثة مباحث، المبحث الأول: التعريف والتنكير في اللغة والاصطلاح وأمثلة على ذلك، المبحث الثاني: دواعي التعريف والتنكير في القرآن الكريم، المبحث الثالث: شواهد من الإيجاز بالتعريف والتنكير وأثرهما في إعجاز القرآن الكريم، ثم خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف والتنكير في اللغة والاصطلاح وأمثلة على ذلك

المبحث الثاني: دواعي التعريف والتنكير في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: شواهد من الإيجاز بالتعريف والتنكير في القرآن الكريم.

المبحث الأول: التعريف والتنكير في اللغة والاصطلاح.

أولاً: التعريف والتنكير في اللغة.

يمكن القول إن الجذر اللغوي لمادة المعرفة يعود إلى "العين والراء والفاء" وهما: أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلاً ببعضه ببعض، والآخر على السكون والطُمأنينة. فالأول العَرَفُ: عُرِفَ الفَرَسُ. وسمي بذلك لتتابع الشعر عليه. ويقال: جاءت القطا عُرْفاً عُرْفاً، أي بعضها خلف بعض، والأصل الآخر المعرفة والعرفان. تقول: عَرَفَ فلانٌ فلاناً عِرْفَاناً ومعرفة. وهذا أمر معروف. وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه، لأن من أنكر شيئاً توحش منه ونبا عنه، ومن الباب العَرَفُ، وهي الرائحة الطيبة، لأن النفس تسكن إليها. يقال: ما أطيب عَرْفِهِ. قال الله سبحانه وتعالى: (وَيُذْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَها لَهُمْ) (محمد: ٦)، أي طيبها^(١)، كما يمكن حمل المعنى على الأصل الذي هو بمعنى الوصف؛ أي وصفها لهم.

وأما النكرة فإن الجذر اللغوي لها هو "النون والكاف والراء" وله أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب. ونكر الشيء وأنكره: لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه، والباب كله راجع إلى هذا. فالنكر: الدَّهْيُ. والنكراء: الأمر الصعب الشديد. ونكر الأمر نكارةً. والإنكار:

(١) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، (٤ / ٢٢٩)، بتصرف واسع.



خلاف الاعتراف. والتتكر: التَّنَقُّلُ من حالٍ تَسْرُّ إلى أخرى تُكْرَهُ^(١)، وبذلك يتضح أن المعرفة في أحد الأصول اللغوية يدل على السكون والطمأنينة، التي يمكن توظيفها في المعنى الاصطلاحي والنكرة تدل في الأصل اللغوي على الشيء الذي لا يطمئن له القلب ولا يرضى به، ثم تطور المعنى اللغوي ليشمل كل أمر صعب غير ومستساغ.

ثانياً: المعرفة والنكرة في الاصطلاح:

المعرفة: هي ما وضع ليدل على شيء بعينه وهي المضمرة والإعلام والمبهمة وما عرف باللام والمضاف إلى أحدهما والمعرفة أيضاً إدراك الشيء على ما هو عليه وهي مسبقة بجهل بخلاف العلم ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف^(٢). وأما النكرة فهي: "ما وضع لشيء لا بعينه كرجل وفس" (٣)، وهي اسم يطلق على القليل والكثير، أو على مفرد، أو على أكثر ومعناه شائع في جنس، أو نوع، أو صنف، أو نحو ذلك، وهذا يصدق بالمتنى والجمع^(٤). وبذلك يظهر أن المعنى الاصطلاحي للمعرفة والنكرة وثيق الصلة بالمعنى اللغوي، فالمعرفة من ثبوت في القلب وطمأنينة إلى شيء محدد معرفة معالمة ومميز، والنكرة من ريبة وتردد وعموم وجهالة وهكذا.

المبحث الثاني: دواعي مجيء المعرفة والنكرة في القرآن الكريم.

أولاً: دواعي مجيء المعرفة في القرآن الكريم.

إن مما يتصل بالدقة في اختيار القرآن لألفاظه، ذلك التوازن الدقيق بين تعريف الألفاظ وتكرارها في البيان القرآني. فمجيء لفظ في القرآن معرفة، ومجيء لفظ آخر نكرة، ومجيء لفظ آخر معرفة في موضع ونكرة في موضع آخر، لم يكن مصادفة في القرآن، إنما هو مقصود في كل موضع، وجيء به على تلك الحالة لينسجم مع السياق الذي ورد فيه ويتناسق معه، ولدواعي كثيرة منها:

الداعي الأول: الإيجاز والاختصار.

ومن الأمثلة في الضمائر قول الله عز وجل في: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ) (السجدة: ١٢). فالمعنى "ولو ترى أنت يا أيها الصالح لمثل هذا الخطاب أيًا كنت^(٥)".

الداعي الثاني: إرادة إحضار المتحدث عنه في ذهن المتلقي باسمه الخاص به (وهذا خاص بالأعلام)، ليمتاز عما عداه، ويترجح هذا الداعي حينما يكون المتحدث عنه معروفاً لدى المتلقي باسمه الخاص به.

ومثاله: "قول الله عز وجل (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة: ١٢٧)، فقد ذكرهما لاستحضار صورتها العجيبة المنبثقة عن المعجزة الباهرة^(٦)".

الداعي الثالث: إرادة الإشعار بتعظيم المتحدث عنه، ويكون هذا في الأعلام التي تشعر بمدح، (وهذا أيضاً خاص بالأعلام).

(١) ابن منظور، لسان العرب، (٢٣٢/٥)، بتصرف واسع.

(٢) الشريف الجرجاني، التعريفات، (ص ٢٨٣).

(٣) للمزيد ينظر أبو البقاء الكفومي، الكليات، ص ١٤٤٣.

(٤) وللمزيد ينظر توسع الحدود، د صالح بن إبراهيم بن مده، درجات التعريف والتتكر، ج ٩، العدد الحادي والثلاثون، ص ٣٩٧.

(٥) ينظر حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص ٣٤٠.

(٦) بتصرف أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٢٠٣/١.



ومثاله: قول الله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) (الفتح: ٢٩)، أي ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله^(١).

الداعي الرابع: إرادة الإشعار باهانة المتحدث عنه، ويكون هذا في الأعلام التي تشعر بدم، أو اشتهرت بصفاتها الذميمة، ومثاله: قول الله تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) (المسد: ١)، وكان شديد العداوة والأذية للنبي صلى الله عليه وسلم، فلا فيه دين ولا حمية للقراية - فبحه الله فذمه الله بهذا الذم العظيم^(٢).

الداعي الخامس: أن يقصد تميزه بأكمل تميز كأن يكون المتكلم والمتلقي أو أحدهما لا يعرف من المعارف التي تُمَيِّزُ المتحدث عنه غير كونه حاضراً مُحَسَّساً يشارُ إليه، فيكون استعمال اسم الإشارة لتعيين المتحدث عنه هو الأمر الذي ينبغي المصير إليه ومثاله قوله تعالى: (وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) (النور: ١٦)، فجاء ذكر حديث الإفك باسم الإشارة "هذا" في ثلاثة مواضع: (هَذَا إِفْكٌ) و(مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا) و(هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) لتمييزه أبلغ تمييز، وإبرازه بما فيه من قُبْحٍ وشناعة وظُلْمٍ لا يَلِيْقُ بالمؤمنين^(٣).

الداعي السادس: إرادة التعريض بغباوة المتلقي، إذ يُشعر أحياناً استخدام اسم الإشارة بأن المخاطب يحتاج لتمييز المتحدث عنه إلى إشارة حسيّة، وأنه لا تكفيه الدلالات الفكرية، ومما يمكن أن نفهم منه التعريض بغباوة المخاطبين في قول الله عز وجل: (وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) (الأنعام: ٣)، أي: أليس هذا الذي أنتم فيه تُحْسِنُونَهُ وَتَعِيشُونَ فيه بعد بعثكم إلى الحياة الأخرى بالواقع الحق، وهو الأمر الذي كنتم تُنْكِرُونَهُ وَتَجْحَدُونَهُ في الحياة الدنيا؟^(٤).

الداعي السابع: إرادة تكريم المتحدث عنه والتعبير عن ارتفاع منزلته، باستعمال اسم الإشارة الذي يُشار به إلى البعيد، والأمثلة على هذا كثيرة في القرآن المجيد ومن الأمثلة، قول الله عز وجل: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) (البقرة: ٢)، أي ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أنزله عليك في التوراة والإنجيل وعلى لسان النبيين من قبل^(٥).

الداعي الثامن: إرادة إهانة المتحدث عنه، والتعبير عن انحطاط منزلته، وبعدها كثيراً إلى جهة الأسفل، باستعمال اسم الإشارة الذي يشار به إلى البعيد ومثاله قول الله عز وجل في سورة: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (آل عمران: ١٠)، أي أولئك المتصفون بالكفر حطب النار وحصبها الذي تسعر به^(٦).

(١) ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ١٧٨/٦
(٢) ينظر السعدي، تيسير العزيز الرحمن في تفسير كلام المنان، ٩٣٦/١، وللمزيد السيوطي الاتقان في علوم القرآن، (١ / ٥٥٨).

(٣) ينظر عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، ص ٣٠٣.

(٤) ينظر السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، (١ / ٥٥٨).

(٥) ينظر البغوي، معالم التنزيل، ٥٩/١.

(٦) ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٣٥٦/١.



الداعي التاسع: إرادة تَحْقِيرِ المتحدِّث عنه بتعريفه باسم الإشارة.

ومثاله: قول الله عزَّ وجلَّ حول مقالة الذين كفروا بشأن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: (وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ لَآتِيَهُمْ كَذِبٌ أُولُؤَيْنَ يُؤْتِيهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ الْوَخَسَاءِ) (الأنبياء: ٣٦).

فمن الظاهر في عبارة الذين كفروا: "أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَيْهِمْ" أنهم يريدون التحقير باستعمال اسم الإشارة "هذا" مع الاستفهام الذي يراد منه الاستصغار والتحقير أيضاً^(١).

الداعي العاشر: إرادة بيان أنَّ المتحدث عنه واضح جلي حاضر قريب التداول لا يحتاج إلى بحثٍ وجهدٍ للوصول إليه.

ومثاله قول الله عزَّ وجلَّ بشأن القرآن في سورة: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا، أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (الإسراء: ١)، أي: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْقَرِيبَ مِنْكُمْ الَّذِي يُتْلَى عَلَيْكُمْ.

الداعي الحادي عشر: استخدام اسم الإشارة الذي يُشار به إلى ذي أوصاف متعددة سبقت في الكلام، للإشعار بأنَّ هذه الأوصاف السابقة هي التي جعلته مستحقاً لأن يُحكَّم عليه بما جاء في جملة الخاصة.

ومنه قول الله عزَّ وجلَّ أيضاً في وصف الفاسقين: (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (البقرة: ٢٧)، أي: إِنَّ الْحُكْمَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ هُمُ الْخَاسِرُونَ قد كان بسبب اتصافهم بالأوصاف التي ذُكرت لهم فيما سبق من النص.

الداعي الثاني عشر: أنَّ لا يكون لدى من يتلقَّى الكلام علمٌ بشيءٍ من المعرفات التي تعرّف العنصر الاسمي، أو تميّزه في الجملة عن غيره، إلّا اتصافه بما دلّت عليه صلة الموصول، فيكون اختيار الاسم الموصول في هذه الحالة أمراً لازماً لتحقيق البيان الذي يستدعيه الكلام.

كأن لا يعرف عنه المخاطب غير أنه اشترى منه خروفاً يوم الجمعة، فيقول له ابنه مثلاً: يا أباي جاء الذي اشتريت منه الخروف يوم الجمعة يُطالبُ بياقي ثمن الخروف. ومنه قول الله عزَّ وجلَّ في عرض قصة موسى عليه الصلاة والسلام بشأن الإسرائيلى الذي استنصره في مصر فنصره على القطبي: (فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ) (القصص: ١٨)، فمُتَلَفَوْا هذه القصة وتالوها لا يَعْرِفُونَ عن هذا الرجل غير ما جاء في سباق القصة من أنه استنصر موسى بالأمس فنصره، فوَكَّرَ مُوسَى الرَّجُلَ الْقَبْطِيَّ فَقَضَى عَلَيْهِ^(٢).

الداعي الثالث عشر: إرادة الوصف بما تضمنته صلة الموصول.

ومنه قول الله عزَّ وجلَّ: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) (البقرة: ١٨٥).

الداعي الرابع عشر: إرادة زيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام، لما في صلة الموصول من ظلال دلالات توحى بوقوع الحدث

ومن شواهد هذا الداعي قول الله عزَّ وجلَّ بشأن امرأة العزيز ليوسف عليه الصلاة والسلام واستعصامه بالعفة وبالخوف من الله، وتمنّعه عن الوقوع في الفاحشة: (وَرَاوَدَتْهُ

(١) ينظر الميداني، البلاغة العربية، ص ٣٣٠.

(٢) بتصرف ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٢٥/٦.



الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (يوسف: ٢٣)، فاختيار لصلة: (الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا) دون ذكر اسمها أو ذكر "امرأة العزيز" كما جاء في موضع آخر من السورة، لزيادة تقرير وقوع الحدث، إذ كون يوسف عليه الصلاة والسلام في بيتها، وهي سيده المطاعة فيه، لا بُدَّ أن يلاحظ معه أنها لا تراوده إلا إذا وصلت إلى ذروة الإعجاب بشخصه والافتتان بصفاته، بعد مخالطة طويلة رأت فيها من جماله وبهائه وذكائه وشبابه ورجولته وحسن أدبه.....^(١)

الداعي الخامس عشر: إرادة التفخيم والتعظيم أو التهويل، وذلك لأن الإبهام الذي قد يوحي به اسم الموصول مع صلته أحياناً يومىء إلى ذلك.
ونظيره قول الله عز وجل: (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى، فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى) (النجم: ٥٤)، المؤتفكة: أي: المنقلبة، وهي قري قوم لوط، فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى: أي: فنزل عليها من فوقها شيء مهول عظيم سترها كلها فدمرها تدميراً شاملاً، فدل الإبهام في الموصول واصله على عظم الأمر المهول الذي غشى قري قوم لوط المنقلبة عاليها سافلها^(٢).

الداعي السابع عشر: الإشارة إلى أن الوصف الذي دلت عليه صلة الموصول هو علة بناء الحكم في الجملة.
ومن الأمثلة على هذا الداعي قول الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ١٧٧)، أي: هذا الجزاء الكريم لهم إنما هو بسبب اتصافهم بالإيمان والعمل الصالح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

الداعي الثامن عشر: قد يتخذ اسم الموصول مع صلته ذريعة للتخويف من عقاب الموصوف به، والتحذير الشديد من مخالفته.
ومنه قول الله عز وجل في حكاية ما قال شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه: (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّ الْأُولِينَ) (الشعراء: ١٨٤)، فالمعنى أن خالق الناس جميعاً (الجبلة الأولين) يجب أن يُتَّقَى عقابه، إذ هو على كل شيء قدير.

الداعي التاسع عشر: قصد الدلالة على معان تتضمنها صلة الموصول، وهذه المعاني لا تدل عليها المعارف الأخرى، ولا حصر لهذه المعاني.
وبعض هذه المعاني يُشعر بتعظيم من دل عليه اسم الموصول، وما يجب تجاهه، مثل قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ) (الانفطار: ٧). وبعضها يشعر بالتهكم، مثل قول المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) (الحجر: ٦)^(٣).

(١) عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص ٣٠٨.

(٢) ينظر الميداني، البلاغة العربية، ص ٣٣٢.

(٣) الميداني، البلاغة العربية (ص ٣٤٠).



الداعي العشرون: أن يشار بالإضافة إلى تعظيم المضاف أو تعظيم المضاف إليه.
ومن أمثلته قول الله عز وجل: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ...) (الإسراء: ١)، وقول الله عز وجل: (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) (الجن: ١٩)، فَلِبَدًا: لِبَدٌ جَمْعُ لِبْدَةٍ، وهي لِبْدَةُ الْأَسَدِ، أي: كاد مشركو مكة من كثرة تأليبهم ضده لمقاومة دعوته يكونون مثل لِبْدِ أَسَدٍ حوله^(١)، فالإضافة إلى الله في الآيتين تَشْرِيفٌ للمضاف عظيم.

ثانيًا: دواعي مجيء النكرة في القرآن الكريم.
ينهج القرآن الكريم منهجاً فريداً في انتقاء الكلمة القرآنية تعريفاً وتذكيراً مراعيًا أبعادها، ثم في توظيفها بعد ذلك في السياق التركيبي، ولذا فالكلمة القرآنية في هذا الإطار تتمتع بكل عناية واهتمام منذ لحظة الانتقاء إلى لحظة التوظيف النصي. ومن ضمن أسس الانتقاء؛ التوظيف السياقي للكلمة القرآنية في هيئات النكرة والمعرفة، وما ذاك إلا قصداً لدلالات بعينها، وتوظيف الكلمة منكراً أو معرفة إنما يخضع في خصوصيته لمحددات السياق النصي، وفنيات التوظيف الجمالي.

يقول الزمלקاني: "قد يظن ظان أن المعرفة أجلى، فهي من النكرة أولى ويخفى عليه أن الإبهام في مواطن خليف، وأن سلوك الإيضاح ليس بسلوك للطريق. وعلة ذلك أن النكرة ليس لمفردتها مقدار مخصوص، بخلاف المعرفة، فإنها لواحد بعينه، يثبت الذهن عنده، ويسكن إليه"^(٢). فالزمלקاني يقرر هنا أن النكرة أصل والتعريف فرع عليه، إذ قد يراد من وراء توظيف النكرة الدلالة على عموم وشمول لا تستطيع المعرفة أن تدل عليها، لكن ذلك لا يلغي أهمية التوظيف للمعرفة في سياقها النصي الخليف بها^(٣).

ولنحاول الوقوف على بعض سياقات التعريف والتذكير في كلمات القرآن الكريم، رغبة في إدراك بعض جماليات التوظيف لهذه الفنية في السياق القرآني، فثمة داع للتذكير في القرآن الكريم، حاول العلماء إبرازها لتبين جمال النسق القرآني، ومن هذه الدواعي:

الداعي الأول: أن يقصد المتكلم عدم تعيين من يتحدث عنه.
وتظهر هنا عدة أغراض؛ منها أن يكون تعيينه زائداً على ما يقصد المتكلم ببيانه، مثل تعيين اسم الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى ليقول لموسى عليه الصلاة والسلام: إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ، لذلك لم يذكر الله اسمه، فقال تعالى: (وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) (القصص: ٢)^(٤).
الداعي الثاني: أن يكون مراد المتكلم ذكر واحد غير معين من الجنس أو النوع أو الصنف،
ومنه قول إخوة يوسف حينما تأمروا للتخلص منه أن يطرحوه أرضاً ما بعيدة دون تعيين، حتى يضل أو تأكله الوحوش، قال الله عز وجل: (إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ اقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهٌ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن

(١) ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (ص ٥٥٩).

(٢) الزمלקاني، البرهان الكاشف عن سر الإعجاز، ص ١٣٦.

(٣) ينظر: عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز - ١٣٢، والسكاكي، مفتاح العلوم، ص ٨٥، العلوي، الطراز

لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٢٠٨.

(٤) ينظر عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص ٣٣٠.



بَعْدَهُ قَوْمًا صَالِحِينَ (يوسف: ٩)، وهذا الشاهد يصلح أيضاً لإرادة من الأرض غير معينة بذاتها، لكنها نوع ذات وصف خاص، فهي أرض بعيدة نائية مجهولة مَنْ طَرَحَ فيها ضلُّ وتعرض للهلاط^(١)

الداعي الثالث: قد يختار المتكلم النكرة قاصداً بالتنكير التكثير، وتدُلُّ القرائن على قصد التكثير، وإذ دلت القرائن عليه حسنٌ في الكلام حذف الوصف الدال على الكثرة، والاكتفاء بدلالة التنكير مع دلالة قرينة الحال أو قرينة المقال.

ومنه قول الله عز وجل، بشأن تقطيع بني إسرائيل في بلدان كثيرة من الأرض: (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا...) (الأعراف: ١٦٨)، أي: أمما كثيرة في بلدان من الأرض كثيرة^(٢).
الداعي الرابع: وقد يختار المتكلم النكرة قاصداً بالتنكير التقليل، وتدُلُّ القرائن على قصد التقليل، فإذا دلت القرائن عليه حسنٌ في الكلام حذف الوصف الدال على القلة، والاكتفاء بدلالة التنكير مع دلالة قرينة الحال أو قرينة المقال، ومنه كذلك قول الله عز وجل: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَبِيبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: ٧٢)، فجاء لفظ "رضوان" منكرًا، وقرينة كونه من الله مع كونه أكبر من كل ما في جَنَّاتٍ عَدْنٍ مِنْ نعيم دليل على أن المراد: ورضوان قليل من الله يُفَرِّغُهُ على أهل جناتٍ عَدْنٍ هو أكثر عندهم وأعظم من كل ما فيها من نعيم.

الداعي الخامس: التعظيم.
وذلك بأن تدلُّ القرائن على قصد التعظيم، وإذ دلت القرائن عليه حسنٌ في الكلام حذف الوصف الدال على التعظيم، والاكتفاء بدلالة التنكير مع دلالة قرينة الحال أو قرينة المقال، ومنه قول الله عز وجل: (الْم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) (البقرة: ٢)، فجاء في هذا النص تنكير لفظ "هُدًى" للتعظيم والتفخيم، أي: هُدًى عظيم فخّم جليل للمتقين، ودل على إرادة التفخيم قرينة تمجيد القرآن، إذ جاءت الإشارة إليه بإشارة البعيد للدلالة على منزلته الرفيعة جدًّا، وجاء وصفه بأنه لا ريب فيه، ودل على كونها شديدة مخيفة كونها من الله ورسوله، وكونها عقوبة على معصية هي من الكبائر^(٣).

الداعي السادس: إرادة التحقير والتصغير، وتدُلُّ القرائن على ذلك.
ومن أمثلته قول الله عز وجل في حكاية قول مؤمن آل فرعون: (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَأْقُومُ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) (غافر: ٣٩)، فجاء في هذا النص تنكير "مَتَاعٌ" للتحقير والتصغير، أي: متاعٌ حقير صغير سريع الزوال، وفيه معنى التقليل أيضاً.

الداعي السابع: إرادة نوع من الأنواع، أو صنف من الأصناف.
مثالة: قول الله عز وجل خطاباً للذين آمنوا بشأن اليهود: (لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ) (آل عمران: ١١١)، جاء في هذا الآية تنكير لفظ "أذى" لإرادة أنه نوع خفيف من أنواع الضرر، فالمعنى: لن يضرُّوكم إلا ضرراً هو نوعٌ من أنواع الأذى، فجاء تنكير "غشاة" لإفادة أنها نوع خاص يحجب فقط رؤية آيات الله، وقد دل على هذا أنهم يرون بأبصارهم أشياء كثيرة إلا أنهم محجوبون عن إدراك آيات الله.

(١) ينظر الميداني، البلاغة العربية، ص ٣٤٢.

(٢) ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (١ / ٥٥٦).

(٣) عباس، البلاغة فنونها وأفانها، ص ٣٣٤.



الداعي التاسع: إرادة الإطلاق وعدم الحصر بالتنكير، إذ التعريف فيه تقييدٌ وحصر. ومثاله قول الله عز وجل: (فَسُئِلَ بِهِ خَبِيرًا) (الفرقان: ٥٩)، أي: أي خبير كان لجأ إليه ودعاه فرحمه، واستجاب له دُعاه، فجاء اللفظ نكرة لإرادة الإطلاق الذي يصدقُ بخبير فأكثر من المجربين الخبراء عن تجرب، فسأل عنه خبيراً هو الله عز وجل وقيل جبريل عليه السلام^(١). **الداعي العاشر: إرادة التعميم بالتنكير، وتساعد على إرادة التعميم القرائن الفكرية أو اللفظية** ويظهر هذا فيما يعمل عمل الفعل من الأسماء، لأنه بمثابة الفعل الذي حذف معموله لإرادة التعميم.

فمن ذلك قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (لقمان: ٣٤)، فالله مبالغ في العلم فلا يعزبُ عن علمه شيء من الأشياء التي من جملتها ما ذكر، وخبيرٌ يعلمُ بواطنها كما يعلمُ ظواهرها، فهو عليم بكل شيء، خبير بكل ما يصلح بطبيعته للاختبار والتجربة^(٢). وقوله تعالى: (إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) (الشورى: ٢٧) فمنهم من لا يصلحه إلا الغنى، ومنهم من لا يصلحه إلا الفقر، فهو خبير بكل شيء من أمور عباده وأحوالهم، بصيرٌ بكل ما يدرك بالبصر من ظواهرهم وبواطنهم^(٣).

المبحث الثالث: شواهد من الإيجاز بالتعريف والتنكير في القرآن الكريم.

لقد حوت كتب التفسير الكثير من الشواهد التي تدل على أساليب الجملة القرآنية، من حيث بلاغة التعريف والتنكير في القرآن الكريم ومن ذلك:

أولاً: شواهد من الإيجاز بالتعريف في القرآن الكريم.

فمن أمثلة ذلك قول الله عز وجل في سورة الفاتحة: (الحمد لله رب العالمين) (الفاتحة: ١)، فالمحلى بلام الجنس في المقامات الخطابية يتبادر منه الاستغراق وهو الشائع هناك مطلقاً وأي مقام أولى بملاحظة الشمول والاستغراق من مقام تخصيص الحمد به سبحانه تعظيماً^(٤)، فكأنه أراد أن يقول بهذه العبارة الموجزة الحمد كله لله وحده: (رب العالمين) (الفاتحة: ٢) "ألا ترى أنه إذا جمع مجرداً من التعريف دل على اختلاف الأنواع، ثم إذا عرف أفاد استغراقاً غير موقوف على الجمعية"^(٥)، فكان اللام وصيغة الجمع أعطت الاسم دلالة الشمول من جميع الجوانب والاتجاهات.

وفي تفسير قوله تعالى: (فَلَمَّا أَلْفَوْا قَالُوا قَالِ مَوْسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) (يونس: ٨١)، فالألف واللام للتعريف، وهو تعريف العهد^(٦)، فكأنه أراد أن يؤكد لهم أن الذي جئتم به إنما هو من جنس السحر المعهود المعروف، فأوجز القرآن جل هذه المعاني بالألف واللام.

(١) البغوي، معالم التنزيل، ٩١/٦

(٢) بتصرف يسير أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥ / ٣٠٤)

(٣) بتصرف يسير ابن الجوزي، زاد المسير، (٥ / ٣٢١)

(٤) ينظر الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني (١ / ٧٤)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١ / ١٥٧).

(٥) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل (١ / ١٠)

(٦) السمين، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (١ / ٢٣٥٨)



ومنه قوله تعالى: (قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (يوسف: ٩)، وهذا أخى؛ مبالغة في تعريف نفسه وتفخيماً لشأن أخيه^(١).

وقوله تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا) (فاطر: ٤٢)

ففي مقصود الأمم وجهان أحدهما: أن يكون المراد العموم أي أهدى من أي إحدى الأمم وفيه تعريض وثانيهما: أن يكون المراد تعريف العهد أي أمة محمد وموسى وعيسى ومن كان في زمانهم^(٢)، وبهذا يكون التعريف إما لإفادة العموم أول العهد وفي كلا الأمرين إيجاز في الجملة القرآنية.

وكذا دلالة تعريف الليل والنهار في قوله تعالى (يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ) (فصلت: ٣٨)، فلأن المعرفة غالباً تفيد الدوام، فعندما تقول خرجت صباحاً تعني صباح يوم بعينه، وعندما تقول سأخرج صباحاً لا بد أن تأتي صباح يوم بعينه، أما عندما تقول أخرج في الصباح يعني أي كل صباح ولذلك (فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ) (فصلت: ٣٨) ليس هناك وقت محدد^(٣).

ثانياً: شواهد من الإيجاز بالتنكير في القرآن الكريم.

وكذا الناظر في سياق الجملة القرآنية، يجد في طياتها ألواناً من العرض البلاغي ومن ذلك أننا نرى الكلمات المتلازمة متنوعة في تعريفها وتنكيرها، وذلك لغايات مقصودة ودواعي جلية، وسيضرب الباحث نماذج تأصيلية على التنكير في القرآن الكريم ليبين ما أبرزه من هذه الدواعي. فمن ذلك قول الله عز وجل: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوبَا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَنْوَاعٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة: ٢٥)، يقول الرازي: "فإن قيل لم نكرت الجنات وعرفت الأنهار؟ فالجواب: أما الأول فلأن الجنة اسم لدار الثواب كلها، وهي مشتملة على جنات كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنات، وأما تعريف الأنهار فالمراد به الجنس كما يقال لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب يشير إلى الأجناس التي في علم المخاطب، أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله: فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ (محمد: ١٥)"^(٤).

وكذا قول الله عز وجل: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (البقرة: ٣٧)، قال ابن عرفة: "وتنكير (كلمات) للتشريف والتعظيم كما في قوله تعالى: "والفجر وليالٍ عشر" وقال: نكرت؛ لأنها معينات معلومات فرد عليه بمنافاة التنكير للتعيين، وأجيب بأنها لشرفها وعظمتها صارت معلومات في الذهن فلم تحتج إلى تعريف وكذلك هنا"^(٥).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ كَذَلِكَ يُضْرَبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يُضْرَبُ اللَّهُ

(١) بتصرف، أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٣ / ٤٧٠)

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، (٢٦ / ٢٤٦).

(٣) بتصرف واسع السامرائي، لمسات بيانية لسور القرآن الكريم، (١ / ٤٠)

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، (٢ / ٣٥٨).

(٥) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، (١ / ٢٦٤)



الْأَمْثَالُ) (الرعد: ١٧)، وأطلقت الأودية وأريد ماؤها من قبيل إطلاق المحل وإرادة ما يحل فيه، وقد مثل الله تعالى المهتدى بالبصير، والضال بالأعمى، والعبادة الحققة بالنور، والباطلة بالظلمات في الآية السابقة. وفي هذه الآية مثل الحق بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل منه أودية مختلفة تأتي بالزروع والثمار مناوبة، ولذا نكر أودية^(١)، أي لتدل على عموم النازل وعموم النابت. ومنه قوله تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) (الإسراء: ٧٩)، فقد نكر مَقَامًا مَّحْمُودًا؛ ليتناول مقاماً مخصوصاً بل كل مقام محمود صدق عليه إطلاق اللفظ^(٢).

وكذا قوله تعالى: (وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) (طه: ٦٩) وتكثيره للتوسل به إلى ما يقتضيه المقام من تكثير المضاف ولو عرف كان المضاف إليه معرفة وليس مراداً، ونكر ليتوسل به إلى تحقير المضاف. وتعقب بأنه بعد تسليم إفادة ذلك تحقير المضاف لا يناسب المقام ولأنه يفيد انقسام السحر إلى حقير وعظيم وليس بمقصود. وأيضاً ينافي ذلك قوله تعالى في آية أخرى وَجَاوُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ إلا أن يقال عظمه من وجه لا ينافي حقارته في نفسه وهو المراد من تحقيره. وقيل: إنما نكر لنلأ يذهب الذهن إلى أن المراد ساحر معروف^(٣).

ومنه القول في تأويل قوله تعالى: (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا) (طه: ١٤)، قال أبو السعود: "ونسبة هذا القول إلى أمثلهم، استرجاع منه تعالى له، لكن لا لكونه أقرب إلى الصدق، بل لكونه أدل على شدة الهول. أي: ولكونه منتهى الأعداد القليلة، وكذلك لبثهم بالنسبة إلى الخلود السرمدي، وإلى تقضي الغائب الذي كان لم يكن. ولا ينافي هذا ما جاء في آية ومنها قوله تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) (الروم: ٥٥)، لأن المراد بالساعة الحصة من الزمان القليل، فتصدق باليوم. كما أن المراد باليوم مطلق الوقت. ولذلك نكر، تقيلاً له وتحقيراً، وليس المراد بحكاية قول من قال عَشْرًا أو يَوْمًا أو سَاعَةً حقيقة اختلافهم في مدة اللبث، ولا الشك في تعيينه. بل المراد أنه لسرعة زواله، عبر عن قلته بما ذكر. فتفنن في الحكاية، وأتى في كل مقام بما يليق به"^(٤)، أما قوله تعالى: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ) (الحج: ٢٨)، فإنما نكر المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات^(٥).

وكذا قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) (النمل: ١٥)، قال السمين: "وإنما نكر "عِلْمًا" تعظيماً له أي: علماً سنياً، أو دلالة على التبعية لأنه قليل جداً بالنسبة إلى علمه تعالى"^(٦).

ومنه كذلك قوله تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الجاثية: ١٤)، ففي التكرير كمال التعريف^(٧)، إشارته إلى قوله قوماً حيث جاءت نكره ويقصد بها كل قوم على اختلاف أوصافهم وأعمالهم.

(١) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ص ٣٩٢٥.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، (٧ / ١٠١).

(٣) الألوسي، روح المعاني، (٨ / ٥٤٠).

(٤) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٤ / ٣٨٥).

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، (٢٣ / ٢٢١).

(٦) السمين الحلبي، الدر المصون في علم الكتاب المكنون، (١ / ٣٨٤٠).

(٧) بتصرف الألوسي، روح المعاني، (١٤ / ٢٨).



وقوله تعالى: (وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) (البلد: ٣)، يقول صاحب البحر "فإن قلت: لم نكر؟ قلت: للإيهام المستقل بالمدح والتعجب"^(١)، كأنه أراد أن يشمل الإيهام كل من انطبق عليه الوصف. وكذلك قوله جل في علاه: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا) (الشمس: ٧) تسوية النفس إكمال عقلها وفهمها، "فإن قيل: لم نكر النفس؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه أراد الجنس كقوله: (عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتُ) (التكوير: ١٤) والآخر أنه أراد نفس آدم والأول هو المختار"^(٢). وفي الختام من خلال تعريف للتعريف والتذكير في اللغة والاصطلاح وبيان لدواعي كل منها وتأسيس لشواهدا يتبين مدى عناية الجملة القرآنية بتخبر ألفاظها تعريفاً وتذكيراً، لتدلل على أوسع المعاني التي ما كانت لتكون في غير هذا النظم القرآني الموجز المعجز بأقل الألفاظ التي لا يمكن اختزالها، فلا بد من إيجاد مجامع قرآنية ودراسات جامعية تعنى بتحليل آيات القرآن الكريم مبرزة أثرها على مقصود الله تعالى من النص القرآني.

المصادر المراجع

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، زاد المسير، ط ٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد الكلبي الغرناطي المالكي، التسهيل لعلوم التنزيل، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى، مصر، سنة ١٣٥٥هـ.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ط ١، تونس، الدار التونسية.
- ابن عرفة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، تفسير ابن عرفة، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ١٩٨٦ م، الطبعة: الأولى.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم المقاييس في اللغة، ط ١، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر ١٩٩٤ م.
- ابن كثير، إسماعيل بن كثير، (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.
- أبو البقاء الكفومي، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨ م.
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.
- حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم - الدار الديمقراطية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.
- الألوسي، محمود (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١) أبو حيان، البحر المحيط، (٨ / ٣٥٧).

(٢) ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد الكلبي الغرناطي المالكي، التسهيل لعلوم التنزيل، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى، مصر، سنة ١٣٥٥هـ، ص ٢٦١٤.



- البغوي، أبو محمد حسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار طيبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- الحدود، د صالح بن إبراهيم بن مدالله، درجات التعريف والتتكر، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية واللغة العربية، الجزء التاسع، العدد الحادي والثلاثون، رمضان ١٤٢٥هـ.
- الزمخشري، محمود بن عمر، (ت ٥٣٨هـ)، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- الزمكاني، ابن الزمكاني، محمد بن علي بن عبد الواحد ١٢٦٩ - ١٣٢٧، البرهان الكاشف عن سر الإعجاز، مكتبة عارف حكمت الدولة، المملكة العربية السعودية، المدينة : المدينة المنورة .
- السامرائي، د/فاضل صالح السامرائي. لمسات بيانية لسور القرآن الكريم، دار عمار ، بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت ١٣٧٦هـ)، تيسير العزيز الرحمن في تفسير كلام المنان، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م
- السكاكي ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزورا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- السمين، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق :الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الاتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م
- الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي السيد الدين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي (ت ٨٢٦ هـ)، التعريفات، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- عباس، فضل حسن، ١٩٨٥م، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، ط ١، عمان، دار الفرقان .
- عبدالقاهر الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز - الجرجاني ، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥، تحقيق : د.محمد التنجي ، دلائل الإعجاز، .
- العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالب الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٨ .
- الفخر الرازي، محمد بن عمر، (ت ٦٠٦هـ)، التفسير الكبير أومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.